الداخل والخارج للإعاقة والتعليم

لقد كنت أتساءل أحياناً عن العلاقات التي غالبا ما تكون متوترة بين الأنظمة المدرسية والآباء والأمهات عندما يتعلق الأمر باختيار نموذج التربية الخاصة أو نموذج الدمج للإعاقة والتعليم. ويستند نموذج التربية الخاصة إلى مجموعة من أماكن الالتحاق (placement settings) استجابة لاحتياجات الطلاب الذين يعانون من مختلف أنواع ودرجات الإعاقة. كل مكان يكون بعيد وأكثر بعداً عن الفصول الدراسية العادية والأطفال الآخرين. وهذا يعني أن بعض الطلاب سوف يكونون في الفصول الدراسية العادية بشكل كامل، والبعض الآخر سيكون يومهم الدراسي مقسم بين الفصول الدراسية العادية والخاصة، والبعض يقضي يومه كاملا في فصول خاصة، بينما سيتم وضع البعض الآخر في المدارس الخاصة. في إطار هذا النموذج يمكن نقل الطالب إلى مكان أكثر عزلا إذا كان الإنجاز الأكاديمي أو الاجتماعي للطالب في انخفاض. أما نموذج التعليم الدامج فيؤمن أن جميع المتعلمين، بغض النظر عن نوع ودرجة الإعاقة، ينبغي تعليمهم في الفصول الدراسية العادية. وبموجب هذا النموذج فإن الفصول الدراسية العادية هي منزل الطالب الدائم ويتم تقديم الدعم هناك من خلال فريق من معلمي الفصول العادية، ومعلمي التربية الخاصة، والمساعدين التربويين. ويقوم المتخصصون الآخرون، إذا لزم الأمر، بتقديم خدماتهم بداخل الفصل الدراسي العادي ، أو في أقرب مكان ممكن. ولا يتم نقل الطالب من الفصول الدراسية العادية على أساس الإنجاز الأكاديمي والاجتماعي. لقد كان نموذج التربية الخاصة معنا منذ الستينيات وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالنماذج الطبية والنفس تربوية. أما التعليم الدامج فهو الطفل الجديد في بنية التعليم، وهو يعكس السياسة التعليمية للأمم المتحدة وهي أن لكل متعلم الحق في التواجد في الصفوف العادية للمدارس المجاورة.

1 الدكتور جاري بانش تورونتو ، أونتاريو كندا مركزMarsha Forest ترجمه ريما الصلاح

هناك شيء يدعوني للقلق حول استجابة الناس للدمج، والناس الذين أفكر فيهم هم العدد المتزايد من الآباء والأمهات الذين يريدون تعليم أبنائهم في الفصول الدراسية العادية، والعدد الكبير من المعلمين الذين يرون أن مجموعة من أماكن التربية الخاصة المنعزلة هي الأكثر ملاءمة. وفي حالات كثيرة جدا كانت العلاقة لا تسير بشكل جيد بين المربين والآباء و هذه مأساة عندما يكون تعليم أي متعلم على المحك.

وهاتان المجموعتان، الآباء والمعلمون، هم المفتاح في التوصل إلى قرار بشأن وضع المدرسة. وبما أن التعليم مسألة حكومية، فإن هذه القرارات التعليمية تسترشد بالتشريعات واللوائح الحكومية. فسياسة الحكومة الإقليمية والمناطقية الكندية السائدة للتوصل إلى قرار بشأن الالتحاق هي أن يتعاون المربين والآباء. على سبيل المثال، تتبع وزارة التربية والتعليم في أونتاريو سياسة من ثلاث نقاط: أ) بموجب المادة 98/181، يعتبر الفصل الدراسي العادي هو الخيار الأول لجميع الطلاب، ب)، إذا كان النظام المدرسي يعتقد أن الفصول الدراسية العادية تلبي احتياجات الطالب و ج)، إذا كان مكان الالتحاق يتماشى مع رغبات الوالدين. وفي حالة كولومبيا البريطانية، فإن السياسة مماثلة إلى حد كبير، باستثناء أن الآباء يقدم لهم استشارة بشأن اختيار النظام المدرسي، يمكنهم خلالها التعبير عن اختيارهم.

ومن الواضح في كلتا الولايتين أن التفضيل هو للفصول العادية. ويكمن مفتاح العمل في أن الحكومة تسمح بالمكان المنعزل إذا ما تم تقييم ذلك من قبل المدارس لتلبية احتياجات الطلبة على نحو أكثر ملاءمة من وضع الفصول العادية. ويبدو أيضا أن هناك بدلات للوالدين. ومعظم الولايات التعليمية الكندية، ولكن ليس جميعها، تتبع عمليات مماثلة. ومع ذلك، فقد اختارت كلا من نيو برونزويك،

يوكون، والأقاليم الشمالية الغربية، ونونافوت نموذج الدمج ووضع الطلاب في الفصول الدراسية العادية مع تلقي الدعم اللازم يكون تلقائياً.

وتتماشى هذه السياسة الأخيرة مع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة التي صدرت مؤخرا. وتنص الاتفاقية بوضوح على أن الالتحاق بالفصول الدراسية العادية هو حق جميع المتعلمين، وعلى وجه الخصوص أولئك الذين يعانون من إعاقات. وموقف الأمم المتحدة ووكالاتها هو أن الفصول الدراسية العادية هي أكثر الوسائل فعالية وكفاءة لتحقيق الإنصاف والعدالة الاجتماعية وأقوى تعلم للجميع. وقد وقعت كندا علي الاتفاقية وصدقت عليها.

فلماذا إذن تواصل أغلبية السلطات التعليمية الكندية دعم أماكن التعليم المنعزلة للمتعلمين الذين يعانون من إعاقات، ولا تحصر ذلك في الغالب علي الحالات الاستثنائية؟ العديد من المعلمين، وبعض الآباء والأمهات، يرتاحون جدا مع نموذج التربية الخاصة، فهم على دراية بالنموذج. وهم يعتقدون أن الأماكن المنعزلة هي الخيار الأكثر فعالية لكثير من المتعلمين. ويتضح هذا الدعم القوي للعزل في حقيقة أن مجلس مدرسة مقاطعة تورونتو، وهو أكبر نظام مدرسي في كندا، أعلن مؤخرا أن نموذجه لمستقبل تعليم المتعلمين الذين يعانون من إعاقات سيظل نموذج التربية الخاصة. ويقول المجلس أن هذا القرار يوفر خيارا للأسر. هناك ارتباك كبير يدخل الصورة عندما يدرك المرء أن مجلس تورونتو والعديد من النظم المدرسية الأخرى في جميع أنحاء كندا تصف مجموعة من أماكن التربية الخاصة بأنها "دامجة" أو "شمولية" وتتجنب مصطلح "عزل". ويبدو أن هذا هو أحد حالات "إمساك العصا من المنتصف" بالنسبة لأنظمة المدرسة.

وبالنظر إلى أن العديد من الآباء يفضلون نموذج التعليم الدامج في حين تعمل مدارسهم على أساس نموذج التربية الخاصة، يمكن للمرء أن يتوقع أن تحدث خلافات بين الأسر والمدارس. هناك الكثير من النزاعات التي تحدث. وفي بعض الحالات، تصل المنازعات إلى مستوى المحاكم قبل اتخاذ قرار نهائي. وفي حالة الخلاف، تشير التجربة إلى أن المدارس تتمتع بالسلطة الحقيقية في اتخاذ القرار بشأن تحديد مكان الالتحاق. قد يختلف الآباء مع القرار وقد يلجأون إلي عملية الطعن، ولكنهم غالبا ما يكونون غير قادرين على تغيير القرار.

لماذا توجد هذا المواقف التي تدعو إلى النزاعات بين الآباء والمدارس؟ رأيي أن المشكلة ليست في بعض العداوة الطبيعية بين المدارس والأسر، ولكن في السياسات التعليمية الهشة لبعض الحكومات الكندية. فإذا لم تقدم الحكومات ثغرات لمواقف العزل في لوائحها، وإذا أيدت بقوة تفضيل الفصل الدراسي العادي كخيار أول، فلن يكون هناك خلاف يذكر وسيكون لدي المدارس دليل واضح لتتبعه. قد يكون لديهم اعتراضات، ولكنهم سيبذلون قصارى جهدهم لتنفيذ الدمج كما هو الحال مع المربين في ولايات أخرى. غير أن السياسات المتضاربة القائمة تخلق وضعا ينتهي بالمدارس والأسر إلى الصراع. فمن ناحية، هم يفضلون الفصل الدراسي العادي كخيار أول لجميع المتعلمين. ومن ناحية أخرى، فهم يرخون الحبل بالنسبة لأماكن التربية الخاصة المنعزلة عن طريق وضع أنظمة تفتح الباب أمام هذا الوضع. وفي الوقت نفسه، فإنهم يعطون الآباء والأمهات ظاهريا القول في قرار اختيار مكان الالتحاق. لا يمكن للمرء أن يفكر في وضع أكثر احتمالا أن يؤدي إلى خلاف بين العديد من المدارس والأسر أكثر من هذا.

في هذه الخلافات تكون المدرسة في موقف أقوى بكثير من الأسرة، فالمدرسة تسيطر على جميع الموارد اللازمة لتعليم أي متعلم. وقد أعطت الحكومة للمدارس الحق في اتخاذ قرار بشأن تحديد وضع المتعلمين الذين يعانون من إعاقات على أساس الإنجاز الأكاديمي والاجتماعي. وبالنظر إلى أن المدارس كانت تعتبر تقليديا أن مستوى الإنجاز الأكاديمي والاجتماعي لكثير من الطلاب الذين يعانون من إعاقات غير ملائم لظروف الفصول الدراسية العادية، وأن الفصول المنعزلة تؤدي هذه المهمة بشكل أفضل، فلا عجب أن العديد من المدارس تتحول إلى الأماكن المنعزلة عندما يكون لديهم الخيار. هذا الخيار يحل مشكلة للمدارس ويسمح لهم بمواصلة السياسات التي لديهم خبرة بها ، بينما لا يحل المشكلة للآباء والأمهات. وإذا لم يوافق الوالدان، ولم تغير المدرسة موقفها، فقد يلجأ الآباء إلى سلسلة من الخطوات شبه القانونية للاستئناف. في هذه الحالة فإن المدارس يمكنها الوصول إلى الموارد اللازمة لتوظيف أفضل مشورة قانونية ممكنة، كما أنه لا يتم الضغط عليهم في الوقت في حل النزاعات، بينما يجب على الآباء دفع الثمن بطريقتهم الخاصة، كما يتم الضغط عليهم من أجل الحصول على أقوى تعليم ممكن لأطفالهم. خمن من الذي يفوز في معظم النزاعات؟

ما يزعجني أيضاً أن كل هذه الخلافات بين المعلمين والأسر لا لزوم لها. وتضع السياسة الحكومية المدرسة في وضع أقوى من وضع الوالدين. المعلمين الذين اعتادوا على النظر إلي المتعلمين ذوي الإعاقة من خلال عدسة معينة ومن ثم يتم منحهم الحق في استخدام تلك العدسة، هم ليسوا سيئين، هم فقط يتبعون القواعد التي وضعتها حكوماتهم. فهم يقبلون السياسات ويضعون أدوات لإنفاذ تلك السياسات. غير أن التغيير يحدث في أماكن أخرى من العالم، فقد جاءتنى اليوم رسالة من صديقة، بتينا، من ألمانيا. وجاء في الرسالة: "يبدو أن الأمور تتطور في ألمانيا بفضل اتفاقية الأمم المتحدة. وقد اتصلت بي وزارة التربية والتعليم لتسألني عما إذا كنت سأعمل على وضع خطة للدمج في شمال

الراين وستفاليا ". فأنظمتنا المدرسية الداعمة لنموذج التربية الخاصة هم ببساطة يفعلون ما تسمح به الحكومة. وهناك أنظمة مدرسية أخرى تتجه نحو السياسة الدولية. والافتقار إلى السياسات الحكومية التقدمية هو السبب الجذري للمشكلة التي تواجه المدارس الكندية والأسر الكندية.

وفيما يتعلق بالحقوق والعدالة الاجتماعية، فإن الحل واضح وبسهولة. نيو برونزويك، يوكون، الأقاليم الشمالية الغربية، نونافوت، وأنظمة المدارس الفردية المختلفة في جميع أنحاء كندا شهدت الحل. وقد رأت الأمم المتحدة ووكالاتها الحل. وقد شهدت العديد من الدول الأخرى الحل والانتقال من نموذج التربية الخاصة إلى الدمج. وبالإضافة إلى ذلك، تشير البحوث المتعلقة بالإنجاز الأكاديمي والاجتماعي للمتعلمين الذين يعانون من إعاقات بشكل متزايد إلى أن وضعهم في الفصول الدراسية العادية يفوق وضعهم في مكان منعزل.

متى ستعمل الحكومات الكندية على تنفيذ الحل الواضح في أجزاء أخرى من كندا وفي عدد متزايد من الدول حول العالم؟